

الاشتقاق ودلالاته في مؤلفات السادة الحنابلة

ابن قيم الجوزية أنموذجا

د. إدريس بن خويا

أ. برماتي فاطمة

جامعة أدرار

ملخص:

يعد الاشتقاق من الظواهر الدلالية الصرفية التي عنى بها العلماء العرب القدامى أيما عناية، حتى أن الدارسين العرب نجدهم يقسمون الاشتقاق إلى أصغر وأكبر، وكبار. إلا أن العلماء الأصوليين وبالضبط عند السادة الحنابلة؛ ومنهم ابن قيم الجوزية- نجدهم يفردون مصطلحا آخر سموه بالاشتقاق الأوسط، وهذا ما جعلهم ينفردون به عن اللغويين في دراستهم لهاته الظاهرة الصرفية الدلالية.

ولذلك سنتناول في مداخلتنا جملة من القضايا أهمها:

1- مفهوم الاشتقاق

2- أنواع الاشتقاق

أ- الاشتقاق الأصغر

ب- الاشتقاق الأوسط

ج- الاشتقاق الأكبر

Résumé:

La dérivation morphologique ou sémantique constitue l'une des préoccupations des arabes depuis l'antiquité. Les chercheurs l'ont divisée en grande et petite dérivation.

Mais les fondamentalistes et messieurs Hanbali en particulier, voire Ibn Kaïm Eljouzia, mettent l'accent sur un troisième terme désigné par dérivation intermédiaire. Ce qui les

distingue des linguistes dans l'étude de ce phénomène morpho-sémantique.

Dans notre intervention, nous tentons de mettre en lumière les points suivants :

1- Définition de la dérivation.

2-Les types de dérivation :

- a- La petite dérivation
- b- La dérivation intermédiaire
- c- La grande dérivation.

مقدمة:

إن البحث في تراثنا اللغوي العربي الأصيل يقتضي منا الإشادة بما قدمه علماء من إسهامات لغوية متميزة، نضاهي بها الدرس اللساني الحديث الذي يتميز هو الآخر بتأسيس النظريات والمصطلحات الحديثة في مختلف المستويات اللغوية؛ من صوت وصرف، نحو ودلالة ومعجم. وكان يتوجب علينا أن نُصرِّح بأسبقية علمائنا القدامى على الغربيين في كثير من الطروحات اللسانية الحديثة المعاصرة، وهو ما يتوجب على الباحثين الغوص في حفريات النص القديم لأجل استنطاقه وفق مناهج لغوية نقدية متعددة، وذلك خدمة للتراث اللغوي العربي، ولأعلامه الذين اشتغلوا باللغة أيما اشتغال، وأقصد علماء النحو والصرف والبلاغة...، وكذا علماء أصول الفقه، والتفسير والمنطق الذين كان لهم باع طويل في هذا المجال.

إن من أهم المستويات التي بحث فيها العلماء السابق قصدهم، نجد المستوى الصرفي الذي برز في عدة جوانب كدارستهم لما يسمى بالمشتقات، والأوزان الصرفية، والفصائل اللغوية...، وأن من بين القضايا التي كان فيها خلاف كبير عند الدارسين في حد ذاتهم نجد قضية الاشتقاق؛ وهي قضية صرفية دلالية بالدرجة الأولى.

وإذا كانت القضية شائعة ضمن اهتمامات اللغويين، فإننا في هذه الورقة سنحاول الوقوف عند هذه الظاهرة من خلال دراستها عند أحد أعلام أصول الفقه، وأقصد ابن قيم الجوزية، العالم الأصولي الفقيه اللغوي الحنبلي، لأجل

إبراز الخلاف الجوهرى بينه -على سبيل التمثيل- وبين ما ذهب إليه بعض أعلام اللغة أثناء تناولهم لهاته الظاهرة بالبحث والتحليل.

إشكالية البحث:

وأما إشكالية البحث، فتتمثل فيما مدى تميز ابن القيم عن غيره من العلماء في تناوله لقضية الاشتقاق؟ وما أنواع الاشتقاق عنده؟ وما نظرته حول جدلية الأصل المشتق بين الفعل والمصدر؟.

محاور البحث:

سنحاول في إجابتنا عن إشكالية البحث من خلال تعريجنا على عدة قضايا، منها:

- مفهوم الاشتقاق لغة واصطلاحاً.

- أنواع الاشتقاق

-الأصغر.

-الأوسط

-الأكبر.

- خاتمة وتتضمن مجموعة من النتائج.

1- مفهوم الاشتقاق:

إذا أردنا معرفة معناه من حيث المفهوم اللغوي نجد ابن منظور يقول: « اشتقاقُ الكلام الأخذُ فيه يميناً وشمالاً، واشتقاقُ الحرف من الحرف أخذُه منه. ويقال شَقَّقَ الكلامَ إذا أخرجَه أَحْسَنَ مَخْرَجٍ... واشتقاقُ الخصمان وتَشَاقُّقا: تلاحاً وأخذاً في الخصومة يميناً وشمالاً مع ترك القصد وهو الاشتقاق »¹.

وأما من حيث المفهوم الاصطلاحي نجد ابن فارس يقول: « أجمع أهل اللغة - إلا من شذ منهم- أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتئان، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على

¹ - لسان العرب، ابن منظور، مادة (شق)، 181/10، دار صادر، بيروت، ط1.

الستر، تقول العرب للدرع: جُنَّة. وأَجَنَةُ الليل. وهذا جنين، أي هو في بطن أمه أو مقبور¹؛ فهذا يدل على أن العرب كانت تستسيغه في الاستعمال، وأن اشتقاقها لبعض الألفاظ من بعض يساهم في الأخير الكشف عن مادتها الأصلية.

ومن جهة أخرى، نجد أن العلماء القدامى يضيفون مفهوماً آخر للاشتقاق، باعتبار أنه «أخذ صيغة من أخرى، مع اتفاقها معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفاً حروفاً أو هيئة؛ كضارب من ضرب، وحَذَر من حَذَر²».

إن مفهوم الاشتقاق نجد له صدى عند الدارسين المحدثين الذين لم يخرج أغلبهم عما قاله القدامى، ومنهم مازن المبارك الذي تحدّث حول أهمية الاشتقاق في الكشف عن المعنى بقوله: «وقد تُفرد بعض الألفاظ من سائر مفردات المادة، فتسير مسرعة تبدل معنى بعد معنى، حتى يُخيّل للناظر أن لا صلة بينها وبين سائر المفردات، وأن لا نسب يجمعها...ولذلك كان الاشتقاق كاشفاً عن الأصل القديم، دالاً على الصلة والنسب، وكان الاشتراك في المادة دليلاً على وحدة الأصل ولو تفرقت المعاني واختلفت الأشكال³». وبعد ما أكد أهمية الاشتقاق في اللغة نجده يخلص في الأخير إلى تحديد المفهوم الدقيق له قائلاً: «هو توليد الألفاظ بعضها من بعض، ولا يكون ذلك إلا من بين الألفاظ التي يُفترض أن بينها أصلاً واحداً ترجع إليه وتتولد منه، فهو في الألفاظ أشبه بالرابطة النسبية بين الناس⁴».

¹ - صاحب في فقه اللغة، ابن فارس، ص35، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي ببيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ-1997م.

² - المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ص269، حققه وفهرسه محمد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ-2005م.

³ - فقه اللغة وخصائص العربية، مازن المبارك، ص77، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2005.

⁴ - المرجع نفسه، ص78.

ونجد هذا المفهوم -أيضا- عند صبحي الصالح الذي أقر بأن دراسة « الاشتقاق في ظلال دلالاته الوضعية على أنه توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع إلى أصل واحد يحدد مادتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد »¹.

وهو ما يتبين لنا من خلال الأقوال السابقة، أن الاشتقاق يكون نتيجة أخذ لفظ من لفظ آخر، مع الرجوع دائماً إلى المادة الأصلية المشتق منها، دون أن ننسى أن كل اشتقاق جديد للمعنى الأصلي إلا ونتج عنه معنى آخر. إن توليد الألفاظ والصيغ ضمن عامل الاشتقاق ينتج عنه دلالات عديدة تتجسد في أنواع الاشتقاق المعروفة عند الدارسين بمختلف أنواعهم، وإن اختلفت الاصطلاحات، وهذه الأنواع هي ما يسمى بالاشتقاق الأصغر، والكبير، والأكبر، وهو ما سنقف عنده من خلال ما جاد به ابن القيم في هذا الجانب.

2-أنواع الاشتقاق:

أ- الاشتقاق الأصغر:

يعتبر الاشتقاق الأصغر أو الصغير أكثر أنواع الاشتقاق وجوداً في العربية، وهو المحتج به لدى علماء اللغة، حيث يقول السيوطي في هذا النوع: « وطريق معرفته تقليبُ تصاريف الكلمة، حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة إطراد أو حروفاً غالباً؛ كـ"ضَرَبَ" فإنه دالٌّ على مُطلق الضَرْب فقط، أمّا ضارب، ومضروب، ويَضْرِب، واضْرِب، فكلُّها أكثرُ دلالة وأكثر حروفاً، وضرب الماضي مساوٍ حروفاً وأكثر دلالة، وكلها مشتركة في "ض ر ب" وفي هيئة تركيبها »²؛ وهذا ما يوحي بأن الصيغة الثلاثية في "ضرب" وتصاريفها المختلفة الناتجة عنها لا بد من أن تشترك في المعنى العام الذي وُضعت له تلك الصيغة، حتى وإن تخللتها أو لحقتها أو سبقتها بعض الحروف

¹ - دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ص174، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط13.

² - المزهر، ص269.

أو الأصوات، وهو ما عبّر عنه علي عبد الواحد وافي - حين حديثه عن الاشتقاق العام الذي هو نفسه الاشتقاق الأصغر بقوله: « يرتبط كل أصل ثلاثي في اللغة العربية بمعنى عام وضع له، فيتحقق هذا المعنى في كل كلمة توجد فيها الأصوات الثلاثة مرتبة حسب ترتيبها في الأصل الذي أخذت منه »¹.

وإذا أردنا استقراء الاشتقاق عند ابن القيم فنجد قد أطال الحديث فيه؛ فهو لا يكاد يذكر قضية لغوية من نص قرآني إلا ونجده يقف عندها من أجل أن يبين اشتقاقها وتصريفها، بالإضافة إلى إبراز المادة الأصلية لها.

ويدرس ابن القيم ضمن هذا النوع الحديث عن أصل الاشتقاق الدائر بين البصريين والكوفيين، حيث يقول الأنباري (ت577هـ) في هذا الشأن: « ذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه، نحو: "ضرب ضرباً"، وقام قياماً". وذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه »². وإن كان هذا مذهب الكوفيين والبصريين فإننا نجد ابن القيم ينتصر لرأي البصريين، حيث يقول: « وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلاً وفرعاً ليس معناه أن أحدهما تولّد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة »³؛ فإن انتصر ابن القيم لرأي البصريين من حيث إنّ المصادر هي الأصل، فإننا - أيضاً- ننتصر لرأي البصريين آخذين بذلك رأي الأنباري الذي قال: « والصحيح: ما ذهب إليه البصريون »⁴ بعدما ناقش آراء كل من البصريين

¹ - فقه اللغة، د.علي عبد الواحد وافي، ص178، دار نهضة للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ط7، 1972م.

² - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، 206/1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 2005م، وينظر أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، ص137-138، تحقيق وتعليق بركات يوسف هبّود، شركة أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ-1999م.

³ - بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، 30/1، خرّج أحاديثه أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1426هـ-2005م.

⁴ - أسرار العربية، ص138.

والكوفيين، وإن كانت هناك مصادر مستعملة ومتداولة، فهذا ما يدل على أن العرب لم تستعمل لها أفعالاً، وبالتالي بقيت على شاكلتها الأصلية.

ونماذج هذا النوع من الاشتقاق عند ابن القيم كثيرة جداً؛ ومنها: اشتقاق لفظ الجلالة "الله"؛ حيث اعتبر أنه مشتق، عكس ما ذهب إليه السهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي (ت 543هـ)¹، وحجتهم في ذلك « أن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له، فيستحيل الاشتقاق »².

وبعد ما تعرض ابن القيم لآراء كثيرة في أصل اشتقاق "الله"؛ هل هو من "التأله"، أو من "الوله"، أو من "لاه" إذا احتجب؟. فيرى أن هذا الخلاف إنما هو في وجه دلالة اللفظ على ذات المعنى، مع اتفاقهم على أن المعنى واحد، وأنهم لا يختلفون في أن هذا الاسم يراد به هذا المسمى، وهو أظهر عندهم وأعرف وأشهر من كل اسم وضع لكل مسمى، وإن كان الناس متنازعين في اشتقاقه فليس ذلك بنزاع في معناه³؛ أي أنه إذا اختلفت الاشتقاقات فالمعنى واحد لها، وبالتالي فهو يرى أن أصل لفظ الجلالة "الله" هو مشتق من "الإله"، مؤيداً في ذلك رأي سيبويه وأصحابه من البصريين بقوله: « كان القول الصحيح أن "الله" أصله "الإله" كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه، إلا من شذ منهم، وأن اسم الله تبارك تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى »⁴.

¹ - ينظر نتائج الفكر، السهيلي، ص 40-41، حقه وعلق عليه الشيخان: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ-1992م.

² - بدائع الفوائد، 30/1، وشرح أسماء الله الحسنى، ابن قيم الجوزية، ص 108، إشراف ومراجعة مكتب التحقيق بدار الإمام مالك للكتاب، الجزائر، ط1، 2008.

³ - ينظر الصواعق، ابن قيم الجوزية، 750/2، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط3، 1418هـ - 1998م، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ابن قيم الجوزية، ص 147-148، شرح وتحقيق: رضوان جامع رضوان، اختصار الشيخ محمد الموصلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م، وشرح أسماء الله الحسنى، ص 108، والتفسير الكبير، فخر الدين الرازي، 156/1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

⁴ - بدائع الفوائد، 209/2، وينظر شرح أسماء الله الحسنى، ص 104، والتفسير الكبير، ص 573.

ثم إننا نجد بيبّن السبب في اعتبار أنه مشتق، والذين قالوا به أيضا قائلاً: « وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى؛ وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنی؛ كالعليم والقدير، والغفور والرحيم، والسميع والبصير؛ فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله »¹. وأن الخلاف الدائر حول النحاة بين المصدر والفعل من حيث أيهما مشتق من الآخر، نجد ابن القيم هذه المرة يؤكد على التكامل بينهما وأن كل واحد منهما متضمن في الآخر بقوله: « وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلاً وفرعاً ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة »²، شارحاً قول سيبويه الذي نصّه: « وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء »³، بعد ما أشار ابن القيم إلى نوع آخر جديد من الاشتقاق سمّاه بـ"الاشتقاق التلازمي" أو ما يسمى بـ"المعنى التلازمي" في قوله: « هو بهذا الاعتبار لا لأن العرب تكلموا بالأسماء أولاً، ثم اشتقوا منها الأفعال؛ فإن التخاطب بالأفعال ضروري كالتخاطب بالأسماء، لا فرق بينهما، فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مادي، وإنما هو اشتقاق تلازم، سمي المتضمن -بالكسر- مشتقاً، والمتضمن -بالفتح- مشتقاً منه، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى »⁴؛ أي أن هذا النوع يندرج ضمن ما سمّاه بالاشتقاق التلازمي، لا المادي المعروف عند النحاة من قبل، وبالتالي فإن التلازمي أو التلازمي Collocational meaning هو ناتج عن التلازم الحاصل بين المعنيين؛ وهو ما عبّر عنه الإنجليزي فيرث (J.R.Firth) بقوله: « أي أن المفردة (أي الكلمة)

¹ - بدائع الفوائد، 30/1، وشرح أسماء الله الحسنی، ص108.

² - المصدران الصفحات نفسها.

³ - الكتاب، سيبويه، 12/1، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975.

⁴ - بدائع الفوائد، 30/1-31، وشرح أسماء الله الحسنی، ص108.

تعرف بما يصاحبها أو يلزمها من مفردات»¹. وكما يجوز لنا التخاطب بالأسماء يجوز لنا التخاطب بالأفعال، ولا فرق بين هذين النوعين من التخاطب حسب ابن القيم دائماً.

ولكن من خلال ما جاء به ابن القيم في الدفاع عن رأيه، فإننا نتجه إلى الرأي القائل بعدم اشتقاق لفظ الجلالة "الله"، وهذا ما يبدو لنا عند إطلاعنا على كتب التفاسير، ومعرفة أن مدلول لفظ "الله" يختلف عن مدلول لفظ "إله"؛ باعتبار أن ابن القيم اتجه إلى التخريج الصرفي للفظ "الله"، وأن أصلها "الإله"؛ « فأدخلت الألف واللام عليها للتعظيم، فصار "الإلاه"، فحذفت الهمزة استئقلاً لكثرة جريانها على الألسنة، فاجتمع لآمان، فأدغمت الأولى فقالوا "الله"»².

وبالتالي، فإننا نضم رأينا إلى رأي فخر الدين الرازي الذي يرى أن هذا اللفظ غير مشتق، وأنه اسم علم لله تعالى، وهذا من خلال الأدلة الدامغة التي قدمها، نختار من بينها « أن كلمة الشهادة وهي التي بسببها ينتقل الكافر من الكفر إلى الإسلام لم يحصل فيها إلا هذا الاسم، فلو أن الكافر قال: أشهد أن لا إله إلا الرحمن أو إلا الرحيم، أو إلا الملك أو إلا القدوس لم يخرج من الكفر ويدخل في الإسلام، وذلك يدل على اختصاص هذا الاسم بهذه الخاصية الشريفة»³، ومنه إذن أن اسم "الله" غير مشتق حسب رأي الرازي، وهو الرأي الذي نأخذ به.

ومن نماذج هذا النوع من الاشتقاق -أيضاً- تناول ابن القيم مسألة اشتقاق اسم "النبي" محمد ﷺ، حيث يقول: « وهو اسم منقول من الحمد، وهو في الأصل اسم مفعول من الحمد، وهو يتضمن الثناء على المحمود، ومحبته

¹ - علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، د.شاهر الحسن، ص51، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1422هـ-2001م، نقلاً عن J.R.Firth, P 196, Papers in Linguistics, London: Oxford University Press.

² - التفسير الكبير، 1/161.

³ - المصدر نفسه، 1/164.

وإجلاله وتعظيمه، هذا هو حقيقة الحمد...ويقال: حمّد فهو محمد...وكذلك أسماء النبي ﷺ: "محمد، وأحمد، والمأحي"، وفي حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ»¹ 2.

وعند ذكر ابن القيم لاشتقاقات اسم "النبي" ﷺ نجده بذلك يؤكد على أن تلك الصفات أو الأسماء جاءت لتدل على دلالات، وعلى ما أخصه المولى ﷺ من فضل على عباده، وأنها إذا كانت أعلاماً فقط لما دلت على المدح المخصوص والمقصود؛ حيث يقول: « فذكر رسول الله ﷺ هذه الأسماء مبيّناً ما خصّه الله تعالى به من الفضل، وأشار إلى معانيها، وإلا فلو كانت أعلاماً محضة لا معنى لها؛ لم تدل على مدح، ولهذا قال حسان رضي الله عنه:

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ﴿٦٠﴾ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ³؛ وهو ما يتبين أن الاشتقاقات العديدة التي أفرد بها اسم النبي ﷺ والأعلام التي جاءت على شاكلتها إنما جاءت لتدل على المدح الذي خصّه به المولى ﷺ.

ونجد من هذا النوع -أيضاً- اشتقاق "الحب" التي ذكر لها ابن القيم خمسين اسماً، مجيباً في ذلك عن كثرة الأسماء للمسمى الواحد، حيث يقول: « ولما كان الفهم لهذا المسمى أشدّ، وهو بقلوبهم أعلق، كانت أسماؤه لديهم أكثر، وهذا عادتهم في كل ما اشتد الفهم له، أو كثر خُطُورُه على قلوبهم تعظيماً له، أو اهتماماً به، أو محبة له»⁴.

¹ - صحيح البخاري، البخاري، 1858/4، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ-1987م.

² - جلاء الأفهام، ابن قيم الجوزية، ص69، تحقيق مصطفى محمد ومحمد عبد الله، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 1462هـ-2005م.

³ - المصدر والصفحة نفسهما.

⁴ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، ص21، حققه وخرج أحاديثه وعلّق عليه عصام فارس الحرساني، ومحمد يونس شعيب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ-1993م.

ونجد من ألفاظ "الحب" التي ذكرها ابن القيم لفظة "المحبة" التي تتفرع بدورها إلى أصول اشتقاقية، وهي كثيرة جداً. وأننا نجد في كل أصل اشتقاقي معنى جديداً للكلمة ليس موجوداً في سائرهما، ومنه تصبح الكلمة الواحدة حاملة لدلالات عديدة؛ حيث يقال إنّ "المحبة" مشتقة من "حَبَب" الأسنان؛ وهو الصفاء الناتج عن بياض الأسنان ونضارتها. وقيل هي مأخوذة من "الحَبَاب"؛ وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد، وأنه على ذلك، فإنها غليان القلب وثورانه عند الاهتياج إلى لقاء المحبوب. وقيل -أيضاً- من "أَحَبَّ" البعير إذا برك فلم يَفُمْ؛ باعتبار أنها مشتقة من اللزوم والثبات، حيث يقول الشاعر:

حُلْتُ عَلَيْهِ بِالْفُلَاةِ ضَرْباً ۞ ضَرَبَ بَعِيرٍ السَّوْءَ إِذَا أَحَبَّ.

وقيل هي مشتقة من "الحَبَّ"؛ وهو القرط عند قلقه في الأذن واضطرابه، فهي إذن مأخوذة من قلق المُحِبِّ واضطرابه عند غياب حبيبه. وقيل هي مشتقة من "الحَبَّ" جمع حبة؛ وهو لُبَّاب الشيء وخالصة وأصله. وقيل هي مشتقة من "الحَبَّ" الذي هو إناء واسع يوضع فيه الشيء فيمتلئ به؛ بحيث لا يسع غيره، وكذلك فإن قلب المحب ليس فيه سَعَةٌ لغير محبوبه. وقيل إنها مشتقة من "حَبَّة" القلب، وهي سُودَاؤُهُ. ويقال: ثمرته، فسميت بذلك المحبة لوصولها إلى حَبَّة القلب¹؛ ويتضح من خلال هذه الاشتقاقات التي قدمها ابن القيم للفظ "الحب" أن العربية لغة واسعة لامتثال لها في مثل هذا النوع من الاشتقاق، وأن ذكر ابن القيم للأصول الاشتقاقية يوضحه من خلال المتعارف عليه عند العرب من أقوال وأشعار، وأنه لا يكتفي بذكر المعنى فقط من خلال المعنى اللغوي أو الاصطلاحي فحسب، وإنما جعل من السياق الركيزة الأساسية في الكشف عن المعنى الحقيقي للفظ، وكلما كان التوظيف السليم للفظ في السياق، كلما نتج عنه المعنى المقصود؛ فالألفاظ لها حياة داخل السياق.

¹ - ينظر المصدر نفسه، ص22-23.

ومن هذا النوع -أيضاً- اشتقاق "الحر" و"العين" من خلال قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾¹؛ حيث يرى ابن القيم أن "الحر" هي جمع حوراء، وهي الشابة الحسناء الجيلة البيضاء، شديدة سواد العين، إلا أنه يعرض لآراء لبعض العلماء في أصل اشتقاقها، فمنهم من يرجعها إلى البياض، ومنهم كذلك من يرجعها إلى الحيرة، ولكنه يخلص في آخر المطاف إلى أن أصل "الحر" من "البياض" بعد ما اعتمد على قول الجوهري بأمانة، حيث يقول: « وليست اللفظة مشتقة من الحيرة، وأصل "الحر" البياض، و"التحوير" التبييض. والصحيح أن "الحر" مأخوذ من "الحر" في العين؛ وهو شدة بياضها مع قوة سوادها، فهو يتضمن الأمرين. وفي الصحاح للجوهري: "الحر" شدة بياض العين في شدة سوادها، و"امرأة حوراء": بيّنة الحر»².

ثم إننا نجد ابن القيم يرد على أبي عمرو الذي اعتبر أن "الحر" هو من سواد العين كلها، وشبهها بأعين الظباء والبقر، وأنه قيل للنساء حور العين لأنهن شبهن بالظباء والبقر، فنجده يجيبه قائلاً: « خالف أبو عمرو أهل اللغة في اشتقاق اللفظة، ورد الحر إلى السواد، والناس غيره إنما ردوه إلى البياض، أو إلى بياض في سواد. و"الحر" في العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما، واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر، ويقال: "عين حوراء" إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها. ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد»⁴.

¹ - سورة الدخان، الآية 54.

² - ينظر الصحاح، الجوهري، مادة (حور)، 202/3، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990.

³ - حادي الأرواح، ابن قيم الجوزية، ص197، اعتنى به مركز المنبر للتحقيق والبحث العلمي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 1427هـ-2006م، والتفسير القيم، ابن قيم الجوزية، ص420، جمع وإعداد الشيخ محمد أويس الندوي، وتقديم محمد حامد الفقي، ضبطه وحققه رضوان جامع رضوان، دار ابن الهيثم، ط1، 1426هـ-2005م.

⁴ - المصدران والصفحات نفسها.

وإذا كانت لفظة "الحر" في العين هي من حسن التناسب الحاصل بين البياض والسواد، فإن لفظة "العين" نجد لها أصل اشتقاقي واحد، خلافاً للذي وجدناه في لفظة "الحر"؛ بحيث إنّ « العين جمع "عيناء"؛ وهي العظيمة العين من النساء. ورجل أعين: إذا كان ضخم العين. و"امرأة عيناء". والجمع "عين". والصحيح أن "العين" هن اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة»¹؛ وهذا ما يبيّن أن ابن القيم يورد أصل اللفظ عند أهل اللغة، وفي استعمالاته المختلفة، ثم يخرج برأي فاصل من أجل تبين أصل اشتقاقه ومادته.

وأما اشتقاق لفظة "الجنة" في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ﴾²؛ فإن ابن القيم يرجع أصل اللفظة إلى الستر والتغطية، وكأنه أخذ برأي ابن فارس، حيث يقول: «إن الجن إنما سموا جنّاً من الاجتئان؛ وهو الاستتار، فهم مستترون عن أعين البشر، فسموا جنّاً لذلك من قولهم: جَنَّهُ الليل وأَجَنَّهُ: إذا ستره، وأجن الميت إذا ستره في الأرض»³. ثم نجده يواصل الحديث مستشهداً بداية بقول الحطيئة:

«وَلَا تَبْكِ مَيِّتًا بَعْدَ مَيِّتٍ أَجَنَّهُ ﴿١﴾ علي وعباس وآل أبي بكر؛ يريد النبي ﷺ. ومنه الجنين لاستتاره في بطن أمه؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾⁴. ومنه المجن: لاستتار المحارب به من سلاح خصمه. ومنه

¹ - المصدران والصفحات نفسها.

² - سورة الناس، الآية 06.

³ - بدائع الفوائد، 2/221، والتفسير القيم، ص589، وينظر روضة المحبين، ص53، وحادي الأرواح، ص86، والصاحبي، ص35.

⁴ - سورة النجم، الآية 32.

الجنة لاستتار داخلها بالأشجار. ومنه الجُنة -بالضم- لما بقي الإنسان من السهام والسلاح. ومنه المجنون لاستتار عقله»¹.

ومن خلال هذا التخرّيج نجد أن ابن القيم يستشهد بالشعر والنص القرآني من أجل إبراز دلالة اللفظ داخل السياق لا خارجه، معتبراً أنه مهما تعددت وتتوالت تلك الاشتقاقات، إلا أنها تشترك في معنى واحد يجمعها، وهو يتمثل في دلالتها على الاختفاء والاستتار.

ومن هذا النوع -أيضاً- "الشكر" في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ

لَوْجَهَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝ ﴾²؛ فهو يرى أن لفظة

"الشكر" وإن تعددت اشتقاقاتها فهي تشترك في معنى واحد؛ ألا وهو النماء والزيادة، وذلك بعدما قدّم المفهوم اللغوي معتمداً على قول الجوهري: «الشكر: الثناء على المحسن بما أؤكله من المعروف، يقال: شكرته وشكرت له، وباللام أفصح... والشكران: خلاف الكفران. وتشكرت له: مثل شكرت له. والشكور من الدواب: ما يكفيه العلف القليل... واشتكرت السماء: اشتد وقعها. وشكرت الشجرة أيضاً تشكر شكراً، أي خرج منها الشكير، وهو ما ينبت حول الشجرة من أصلها»³.

وبعد عرضه للمفهوم اللغوي نجده يبيّن المفهوم الاصطلاحي للفظّة "الشكر"، ليخلص في الأخير إلى اشتراك تلك الاشتقاقات في النماء والزيادة بقوله: «فتأمل هذا الاشتقاق وطابق بينه وبين الشكر المأمور به، وبين الشكر

¹ - بدائع الفوائد، 222/2، والتفسير القيم، ص589، وينظر وروضة المحبين، ص53، وحادي الأرواح، ص86، والصاحبي، ص35.

² - سورة النجم، الآية 32.

³ - الصحاح، مادة (شكر)، 265/3.

الذي هو جزاء الرب الشكور، كيف نجد في الجميع معنى الزيادة والنماء، ويقال أيضاً: دابة شكور إذا أظهرت من السمن فوق ما تعطي من العلف»¹.

ومن أمثلة هذا النوع -أيضاً- لفظة "الصبر"؛ فلقد ذهب إلى أن أصل وضعها هو المنع والحبس، وذلك بعد ما راح يبين لنا المعنى اللغوي لهذه اللفظة بقوله: «أصل هذه الكلمة هو المنع والحبس، فالصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود، وشق الثياب ونحوهما، ويقال صبر يصبر صبراً، وصبر نفسه»²؛ فهي معان دالة على المنع والحبس، ولكنه يربط لنا المعنى اللغوي للفظه بالمعنى الاصطلاحي أو المجازي حينما تنفرع لفظة "الصبر" إلى اشتقاقات عديدة، وبعد استشهاده بأقوال أهل اللغة في معان هذه اللفظة من الشدة والقوة والضم، يأتي في الأخير ليدلي برأيه الخاص في المعاني الناتجة عن اشتقاق "الصبر"، معتبراً في ذلك أنه تشترك في الضم والشدة والمنع، حيث يقول: «والتحقيق أن في الصبر المعاني الثلاثة: المنع والشدة والضم، ويقال: صبر إذا أتى بالصبر، وتصبر إذا تكلفه واستدعاه، واصطبر إذا اكتسبه وتعلمه، وصابر إذا وقف خصمه في مقام الصبر، وصبر نفسه وغيره بالتشديد إذا حملها على الصبر، واسم الفاعل صابر وصبار وصبور ومصابر ومصطبر؛ فمصابر من صابر، ومصطبر من اصطبر، وصابر من صبر، وأما صبار وصبور فمن أوزان المبالغة من الثلاثي؛ كضرب وضروب»³؛ فهو يبين لنا من خلال هذه الاشتقاقات المختلفة للصبر وإن تعددت فهي تدل على معان مشتركة في الشدة والمنع والضم.

ومنه -أيضاً- اشتقاق "الصراط" و"الخناس"؛ فاللفظة الأولى هي من «صرطت الشيء أصرطه إذا بلعته بلعاً سهلاً، فسمي الطريق صراطاً لأنه يسترط

¹ - عدة الصابرين، ابن قيم الجوزية، ص153، تحقيق عصام الدين الصّبابي، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ-2002م.

² - المصدر نفسه، ص15.

³ - المصدر نفسه، ص16.

المارة فيه»¹. وأما اللفظة الثانية فهي من «خنس يخنس إذا توارى واختفى... وحقيقة اللفظ اختفاء بعد ظهور، وليس لمجرد الاختفاء»²؛ أي أن لفظة "الخناس" راجعة إلى أصل الاختفاء، وهي من خنس يخنس إذا اختفى؛ ولكن ابن القيم يضيف إليها الاختفاء بعد الظهور، وكأنه ظهر ثم اختفى. وأما "الصراط" فأرجعه إلى الصراط أو البلع، ولذلك سُمي الطريق صراطاً لأنه - حسب ابن القيم - يصرط المارة فيه؛ فهو بذلك نجده يعقد المناسبة بين اللفظ واشتقاقاته المتعددة.

ومنه -أيضاً- لفظة "عرف" التي أرجع أصلها إلى الظهور والعلو، حيث يقول في أصل هذه المادة: «أصل وضعها لتمييز الشيء وتعيينه حتى يظهر للذهن منفرداً عن غيره، وهذه المادة تقتضي العلو والظهور؛ كعرف الشيء لأعلاه، ومنه الأعراف، ومنه عرف الديك»³؛ فهذا ما يبين أن اشتقاقاتها المتعددة تدل على العلو والظهور.

ومن كذلك لفظ "البر" الذي يدل بأصله على المنافع والخير والكمال؛ لأن «وقوع كل اسم في اللغة على مسماه فيها، وأن اسم "البر" لا يتناول الخردل»⁴، فهو وإن اختلفت اشتقاقاته فهي لا تخرج عن المعاني التي أشرنا إليها سابقاً، حيث يقول: «البر... البر... البر... بررة والأبرار»⁵.

ومنه -أيضاً- لفظة "الذرية" التي تناول فيها مجموعة من الآراء حول أصل مادتها، مرجحاً في آخر المطاف رأي الجوهرى الذي يرى أن أصل مادتها هو من "ذراً"، وأن الاشتقاق والمعنى سببان كافيان في الكشف عن أصل مادتها،

¹ - بدائع الفوائد، 14/2.

² - المصدر نفسه، 214/2.

³ - المصدر نفسه، 51/2.

⁴ - أعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، 191/1، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م.

⁵ - الرسالة التبوكية، ابن قيم الجوزية، ص37، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني، جدة.

حيث يقول ابن القيم في هذه اللفظة: « وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: إنها من ذرأ الله الخلق؛ أي نشرهم وأظهرهم، إلا أنهم تركوا همزها استتقلاً، فأصلها "ذُرْيَةُ" بالهمز فُعَيْلَةٌ من الذَّرء، وهذا اختيار صاحب الصحاح¹ وغيره. والثاني: أن أصلها من الذَّرء، وهو النَّمْل الصَّغار... والقول الثالث: إنها من ذَرَأَ يَذُرُو، إذا فُرِق من قوله تعالى: ﴿ تَذَرُوهُ الرِّيحُ ﴾²؛ وأصلها على هذا "ذُرْيُوتٌ" فُعَلِيَّةٌ من الذَّرء، ثم قلبت الواو ياء لسبق إحداها بالسكون. والقول الأول أصح؛ لأن الاشتقاق والمعنى يشهدان له، فإن أصل هذه المادة من الذرء... فالذرية فُعَلِيَّةٌ منه بمعنى مفعولة؛ أي مذروءة، ثم أبدلوا همزها، فقالوا: ذرية³».

ومن خلال هذه النماذج التي درسها ابن القيم، يتبين أن هذا النوع من الاشتقاق مدروس بشدة في مختلف مؤلفاته العديدة والمتنوعة؛ لأنه بذلك كثير ما نجده عند دراسته للفظ الواحد يحاول إرجاعها إلى المعنى اللغوي أولاً، ثم البحث عن أصل اشتقاقها ثانياً؛ وهذا ما ينعت بالاشتقاق الأصغر، وذلك هو منهجه.

ب- الاشتقاق الأوسط:

ويسمى بالاشتقاق الكبير عند كثير من العلماء والدارسين، أو يسمى بالقلب، أو القلب اللغوي⁴، بينما سمّاه ابن جني بالاشتقاق الأكبر، وهو « أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من

¹ - ينظر الصحاح، مادة (ذرأ)، 56/2.

² - سورة الكهف، الآية 45.

³ - جلاء الأفهام، ص 106.

⁴ - ينظر الخصائص، ابن جني، 134/2، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، ودراسات في فقه اللغة، ص 186.

ذلك عنه رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه؛ كم يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد»¹.

ومن الأمثلة التي ساقها ابن جني نجد مادة "ق س و" التي تجتمع تقاليبها الخمسة في الدلالة على الاجتماع والقوة، كما عدّ منها خمسة مستعملة، وهي متمثلة في: "ق س و"، "ق و س"، "و ق س"، "و س ق"، "س و ق"، والسادسة مهملة، وتمثلت في "س ق و"، حيث يقول مجيباً عن دلالة استعمالها: « وجميع ذلك إلى القوة والاجتماع. منها "القسوة" وهي شدة القلب واجتماعه... ومنها "القوس" لشدتها، واجتماع طرفيها. ومنها "الوُس" لابتداء الجرب، وذلك لأنه يجمع الجُرد ويُقْلحُه، ومنها "الوُسُق" للحمل؛ وذلك لاجتماعه وشدته... ومنها "السوق"؛ وذلك لأنه استحثاث وجمع للمسوق بعضه إلى بعض»².

ويمكن إجمال القول في هذا الاشتقاق هو أنه « ترتبط بعض مجموعات ثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطاً مطلقاً غير مقيد بترتيب، فتدل كل مجموعة منها على المعنى المرتبط بها كيفما اختلف ترتيب أصواتها »³. ووسمنا هذا النوع من الاشتقاق بالأوسط بدلاً من الكبير لاعتبار أن ابن القيم أطلق عليه هذا الاسم، وربما أنه اقتفى أثر شيخه ابن تيمية⁴ الذي سمّاه بهذا الاسم أيضاً، حيث يقول ابن القيم في تحديد مفهومه: « هو عقد تقاليب الكلمة على معنى واحد »⁵، أو هو « عقد تقاليب الكلمة على معنى جامع »¹؛

¹ - الخصائص، 134/2.

² - المصدر نفسه، 136/2-137.

³ - فقه اللغة، د.علي عبد الواحد وافي، ص180، دار نهضة للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ط7، 1972م.

⁴ - ينظر مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، 207/6، 339/10، 213 /17، 527/17، 418/20، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، الرياض، ط3، 1426هـ-2005م، والدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية، د.هادي أحمد فرحان الشجيري، ص126-127، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2001م.

⁵ - بدائع الفوائد، 222/2، والتفسير القيم، ص589.

أي هو الرجوع بتقاليب الكلمة إلى معنى واحد، وهو ما يدل مرة أخرى على أن هذا النوع يسمى بالتقليب، أو التقليب اللغوي.

ومن أمثلة هذا النوع اشتقاق لفظة "الناس" التي اعتبرها ابن القيم آتية من "الإيناس"، والشيء الذي حدث في اللفظة هو راجع إلى ما يسمى بالاشتقاق الأوسط، حيث يقول: « وأما الناس فبينه وبين الإنس مناسبة في اللفظ والمعنى، وبينهما اشتقاق أوسط؛ وهو عقد تقاليب الكلمة إلى معنى واحد. والإنس والإنسان مشتق من الإيناس؛ وهو الرؤية والإحساس، ومنه قوله: ﴿ ءَإِنسَ مِنْ

جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ﴾²؛ أي رآها،... فالإنسان سمي إنساناً لأنه يونس؛ أي يرى بالعين «³؛ إن ابن القيم ومن خلال هذا الرأي في أصل اشتقاق الناس من "الإنس" نراه بذلك يقتفي أثر البصريين؛ وهي مسألة اشتهت فيها الخلاف بينهم وبين الكوفيين؛ باعتبار أن الكوفيين يرون أن "إنسان" هي على وزن "إفْعَان"، وهو مأخوذ من "النسيان". بينما البصريون جعلوا وزنه من "فِعْلَان"؛ لأن "إنسان" مأخوذ من "الإنس"⁴. حيث يقول في هذا الشأن: « وأصل ناس نوس؛ تحركت الواو قبلها فصارت ألفاً... وأما قول بعضهم أنه من النسيان وسمي الإنسان إنساناً لنسيانه، وكذلك الناس سمووا ناساً لنسيانهم فليس هذا القول بشيء، وأين النسيان الذي مادته "ن س ي" إلى الناس الذي مادته "ن و س"، وكذلك أين هو من الإنس الذي مادته "أ ن س" «⁵.

¹ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، 362/1، تحقيق وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ودار الأصاله الجزائر، 1426هـ-2005م.

² - سورة القصص، الآية 29.

³ - بدائع الفوائد، 222/2، والتفسير القيم، ص 589-590.

⁴ - ينظر الإنصاف، 309/2-311.

⁵ - بدائع الفوائد، 222/2، والتفسير القيم، ص 590.

وبعد هذه التساؤلات التي طرحها نجده يؤكد على أنه من أصل "أ ن س"، وهو الرأي الراجح عندنا أيضاً؛ وهو ما ذهب إليه الأنباري في الإنصاف، حيث يوضح ابن القيم معللاً: «وأما إنسان فهو فعّال من "أ ن س"؛ والألف والنون في آخره زائدتان لا يجوز فيه غير هذا البتة؛ إذ ليس في كلامهم "أنس" حتى لا يكون إنساناً إفعالاً منه، ولا يجوز أن يكون الألف والنون في أوله زائدتين؛ إذ ليس في كلامهم انفعّل، فيتعين أنه "فعّال" من الإنس، ولو كان مشتقاً من نسي لكان نسياناً لا إنساناً»¹؛ وبالتالي فإن الإنسان هو مشتق من الإنس لا من النسيان.

ومن أمثلة هذا النوع -أيضاً- من الاشتقاق نجد لفظ "التَّئِيم" الذي عدّه من مراتب المحبة، وأن أصله راجع إلى الدّل والانكسار، يقول في هذا الشأن: «التَّئِيم وهو التَّعَبْد والتَّذَلُّل، يقال: تَيَّمَهُ الحُبُّ؛ أي دَلَّاهُ وَعَبَّدَهُ. وتَيَّمُ الله: عبد الله. وبينه وبين التَّيْم -الذي هو الانفراد- تلاق في الاشتقاق الأوسط، وتناسب في المعنى؛ فإن "المتَّيْم" المنفرد بحبه وشجّوه، كانفراد اليتيم بنفسه عن أبيه، وكل منهما مكسور ذليل؛ هذا كسره يُتْم، وهذا كسره تَتَيَّم»².

ومنه أيضاً "الرَّهَب والهَرَب"؛ حيث جعل ابن القيم العلاقة بينهما ناتجة عن التناسب الحاصل في اللفظ والمعنى، نتيجة للاشتقاق الأوسط الذي اعتراهما؛ معتبراً في ذلك أن "الرهب" هي نتيجة لحالة الخوف والتفكير في الهرب من شيء مكروه، أو هو بمعنى «الخوف والخشية»³، بينما "الهرب" هو نتيجة الحركة أو مباشرة الهرب أو الفرار، فلذلك نلمس التناسب الحاصل بين اللفظتين، حيث يقول: «وأما "الرَّهبة" فهي الإمعان في الهرب من

¹ - المصدران والصفحات نفسها، وينظر الإنصاف، 311/2.

² - مدارج السالكين، 745/2-746، وينظر روضة المحبين، ص33.

³ - طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، ص234، تحقيق وتخريج أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1425هـ-2005م.

المكروه...وبين "الرَّهْب" و"الهَرَب" تناسب في اللفظ والمعنى؛ يجمعهما الاشتقاق الأوسط الذي هو عقد تقاليب الكلمة على معنى جامع»¹.

ومن خلال ما لاحظناه في النماذج السابقة التي ساقها ابن القيم حول الاشتقاق الأوسط تبين أنه اقتصر -فقط- على تقليب أو تقليبين، أو ثلاثة على الأكثر؛ فهذا معناه أنه لم يشأ أن يطيل الحديث والبحث فيه بالتفصيل كالذي لاحظناه عند ابن جني وغيره من العلماء، وإنما حاول بذلك صب اهتمامه على إبراز المادة الأصلية للفظ المشتق، مع تبيان دلالات استعماله، ومن ثمة إيضاح الفروق الدقيقة بين تلك الاشتقاقات، وهذا هو منهجه دائماً في محاولة تأكيد على حدوث التناسب بين الألفاظ والمعاني.

ج- الاشتقاق الأكبر:

إنّ هذا النوع من الاشتقاق هو نتيجة لارتباط بعض المجموعات الثلاثية الصوتية ببعض المعاني ارتباطاً عاماً لا يتقيد بالأصوات نفسها فحسب، بل بترتيبها الأصلي؛ سواء أبقيت الأصوات ذاتها أم استبدل بها أو ببعضها أصوات أخرى متفقة معها في النوع، والقصد من الاتفاق أن يتقارب الصوتان في المخرج، أو يتحدّا في جميع الصفات².

ونجد أن ابن جني قد تفتن إلى هذا النوع، ولكن لم يسمه باسم الاشتقاق الأكبر، وإنما درسه ضمن باب "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"؛ حيث ضرب فيه الكثير من الأمثلة، يقول في هذا الشأن: « هذا غُور من العربية لا يُنتَصَف منه ولا يكاد يُحاط به. وأكثر كلام العرب عليه وإن كان غُفلاً مسهواً عنه...من ذلك قول الله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْزُهُمْ أَرْأَ ﴾³؛ أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزُّهم هزّاً، والهمزة أخت الهاء؛ فتقارب

¹ - مدارج السالكين، 362/1.

² - ينظر فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص184، ودراسات في فقه اللغة، ص210-211.

³ - سورة مريم، الآية 83.

اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خَصَّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهَزْ؛ لأنك قد تهزَّ ما لا بال له كالجِدْع وساق الشجرة»¹؛ فهو يبيِّن لنا أن نتيجة لتقارب المخرجين للصوتين نتج التقارب في المعنى؛ باعتبار أن مخرج الهمزة والهاء واحد.

ومن أمثلة هذا النوع عند ابن القيم نجد لفظة "النصوح" التي جعلها من خلاص الشيء؛ حيث يقول: « وأصل مادة "ن ص ح" لخلاص الشيء من الغش والشوائب الغريبة، وهو ملاق في الاشتقاق الأكبر لِنَصَح إذا خلص »²؛ وهذا إذا سألنا المعاجم العربية القديمة عن حقيقة هذه اللفظة لوجدنا المعنى نفسه عند الراغب الأصفهاني (ت403هـ) مثلاً، حيث يقول هذا الأخير: « النَّصْحُ تحرِّي فعلٍ أو قولٍ فيه صلاحٌ صاحبه...وهو من قولهم نصحتُ له الوُدَّ؛ أي أخلصته، وناصح العسل خالسه »³.

ومن أمثلته -أيضاً- الإدلاء والدلالة واشتراكهما في معنى التوصل إلى الشيء، حيث يقول ابن القيم: « الإدلاء: وهو التوصل إلى الرجل برحم منه، ويشاركه في الاشتقاق الأكبر الدلالة؛ وهي التوصل إلى الشيء بإبانتته وكشفه »⁴؛

ومن خلال أنواع الاشتقاق التي ذكرها ابن القيم نجده قد عمد إلى تحديد المادة الأساسية للفظ المشتقة، ومن ثمة الدلالات الناتجة عن كل تقليب، ولأجل تأكيده -أيضاً- الملح على حدوث المناسبة بين الألفاظ ومعانيها في العربية. وبالتالي فإن الاشتقاق عامل لغوي يساهم بدوره -بلاشك- في نمو اللغة العربية ورفقيها، وهو ما تفتقر إليه اللغات الأخرى.

¹ - الخصائص، 146-145/2.

² - مدارج السالكين، 227/1.

³ - معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، مادة (ن ص ح)، ص374، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ-2006م.

⁴ - مدارج السالكين، 227/1.

خاتمة:

- إن الاشتقاق هو من الأمور الهامة التي أسهمت في الثراء اللغوي، وهو أخذ صيغة من أخرى، مع اتفاقهما معنى ومادة، وهيئة تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة.
- يعد الاشتقاق من الأمور الصرفية الدلالية التي تكشف عن الأصل القديم للفظ، دالة على الصلة والنسب، وإن الاشتراك في المادة دليل على وحدة الأصل ولو تفرقت المعاني واختلفت الأشكال.
- يعتبر الاشتقاق الأصغر أو الصغير أكثر أنواع الاشتقاق وجوداً في العربية، وتحدث عنه ابن القيم بشكل موسع، مبرزاً أهمية هذا النوع الذي يعتمد على تقلب تصاريف اللفظة، حتى يضمن الرجوع إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة إطراد أو حروفاً في غالب الأمر.
- تناول ابن القيم بالعرض والتحليل قضية الخلاف الجوهرية بين الفعل والمصدر، وأيهما اشتق من الآخر؛ وهي إشكالية كانت مطروحة بين الكوفيين والبصريين لحقبة من الزمن، لينتصر في آخر المطاف إلى رأي البصريين القائل بأن الفعل مشتق من المصدر، وبالتالي فإن المصادر هي الأصل.
- أشار ابن القيم إلى نوع آخر جديد من الاشتقاق سماه بـ"الاشتقاق التلازمي" أو ما يسمى بـ"المعنى التلازمي" Collocational meaning، الذي يكون ناتجاً عن التلازم الحاصل بين المعنيين؛ أي أن المفردة (أي الكلمة) تعرف بما يصاحبها أو يلزمها من مفردات، وكما يجوز لنا التخاطب بالأسماء يجوز لنا التخاطب بالأفعال، ولا فرق بين هذين النوعين من التخاطب حسب ابن القيم.
- أشار ابن القيم إلى مصطلح جديد سماه بالاشتقاق الأوسط؛ الذي يقابله عند اللغويين بالاشتقاق الكبير، أو بالقلب اللغوي، وأن تسمية هذا النوع بالاشتقاق الأوسط لم نجده إلا عند أعلام السادة الحنابلة؛ وأقصد ابن القيم وشيخه ابن تيمية على سبيل الذكر لا الحصر.

-إن منهج ابن القيم في تعامله مع الألفاظ المشتقة هو تحديده المادة الأساسية للفظ المشتقة، ومن ثمة الدلالات الناتجة عن كل تقليب، مع تأكيده على حدوث المناسبة بين الألفاظ ومعانيها في العربية.

مصادر ومراجع البحث:

* القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

- 1- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 2005م.
- 2- أعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م.
- 3- أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، تحقيق وتعليق بركات يوسف هبّود، شركة أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ-1999م.
- 4- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، خرّج أحاديثه أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1426هـ-2005م.
- 5- جلاء الأفهام، ابن قيم الجوزية، تحقيق مصطفى محمد ومحمد عبد الله، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 1462هـ-2005م.
- 6- الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية، د.هادي أحمد فرحان الشجيري، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2001م.
- 7- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط13.
- 8- حادي الأرواح، ابن قيم الجوزية، اعتنى به مركز المنبر للتحقيق والبحث العلمي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 1427هـ-2006م.
- 9- طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، تحقيق وتخرّيج أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1425هـ-2005م.
- 10- الكتاب، سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975.
- 11- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط1.
- 12- مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، الرياض، ط3، 1426هـ-2005م.
- 13- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ودار الأصالة الجزائرية، 1426هـ-2005م.
- 14- المزهري في علوم اللغة، للسيوطي، حققه وفهرسه محمد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ-2005م.
- 15- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ-2006م.

- 16- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ابن قيم الجوزية، شرح وتحقيق: رضوان جامع رضوان، اختصار الشيخ محمد الموصلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م.
- 17- نتائج الفكر، السهيلي، حققه وعلق عليه الشيخان: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ-1992م.
- 18- الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ-1997م.
- 19- الصواعق المرسلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د.علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط3، 1418هـ - 1998م.
- 20- الصحاح، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990.
- 21- صحيح البخاري، البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ-1987م.
- 22- عدة الصابرين، ابن قيم الجوزية، تحقيق عصام الدين الصّبابطي، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ-2002م.
- 23- علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، د.شاهر الحسن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1422هـ-2001م.
- 24- فقه اللغة وخصائص العربية، مازن المبارك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2005.
- 25- فقه اللغة، د.علي عبد الواحد وافي، دار نهضة للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ط7، 1972م.
- 26- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه عصام فارس الحرستاني، ومحمد يونس شعيب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ-1993م.
- 27- الرسالة التبوكية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني، جدة.
- 28- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
- 29- التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، جمع وإعداد الشيخ محمد أويس الندوي، وتقديم محمد حامد الفقي، ضبطه وحققه رضوان جامع رضوان، دار ابن الهيثم، ط1، 1426هـ-2005م.
- 30- الخصائص، ابن جني. تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2.
- 31- شرح أسماء الله الحسنى، ابن قيم الجوزية، إشراف ومراجعة مكتب التحقيق بدار الإمام مالك للكتاب، الجزائر، ط1، 2008.

المرجع الأجنبي:

32-Papers in Linguistics , J.R.Firth, London: Oxford University Press.